

وهكذا يعيد المؤلف للدراسات البديعية أشعار التلاعب والزخرفة، تلك الأشعار التي تمثل مرحلة الضعف في الأدب العربي، والتي أساءت إلى البديع والشعر أيما إساءة؛ ومن ثم أهملها الدارسون المعاصرون التقليديون منهم وغير التقليديين؛ لذا حين أوردها المؤلف هنا، ظن أنه يلبس البلاغة العربية/ البديع ثوباً جديداً، وهو في الحقيقة ثوب بال مهترئ؛ لذا فأنسب عنوان لهذه الدراسة: (البلاغة العربية في ثوبها البالى المهترئ).

كما ذكر المؤلف في المقدمة - أيضاً - أنه سينطلق في تجديده المزعوم من علوم وأفاق معاصرة إذ قال: «كذلك هناك نقطة أخرى أود الإشارة إليها في هذا الكتاب، وهي أن الفنون البديعية في كتب البلاغة محدودة المعنى، والأفاق والصفات والتعريف. وخُيِّلَ إلى أن ذلك بعض دوافع المتجافين والشائئين لهذا العلم، واستدراكاً لهذا التقصير؛ حاولت - قدر الطاقة والجهد والسهر ونور العين - أن أتمدد في البحوث، وأنطلق من أقوال المؤلفين السابقين إلى آفاق أخرى، تخوض في النقد تارة، وفي علم النفس أخرى، وفي علم الجمال، وفي علم الأسلوب مرة ثانية، وفي الشرح الأدبي مرات، وأربطها بعلم الدين، أو بالتاريخ البشرى، أو بتاريخ الحضارة، أو بفلسفة الأمم، أو بمنظور الشعوب، أو بغير ذلك مما يتطلب البحث، ويتمدد فيه ويتناسب ويتفق»<sup>(٨٣)</sup>.

وهذه الانطلاقة التي يدعيها المؤلف، إلى آفاق رحبة وكثيرة: علم النفس، وعلم الجمال، وعلم الأسلوب، وتاريخ الحضارة.... إلخ، أين هي في هذه الدراسة؛ وكيف انطلق منها أو إليها، وليس من بين مراجعة مرجع واحد متخصص في أى من هذه الآفاق؟! اللهم إلا إذا كان المؤلف يعد نفسه مرجعاً لكل تلك العلوم وتلك الآفاق!!

ويبدو أن المؤلف ظن أنه حين جعل عنوان أحد قسمي هذه الدراسة (جماليات في الشكل والأسلوب)، ظن أنه خلق في آفاق علم الأسلوب، وأنه حين وجد نفسه يقول: وهذا الفن تهتز له النفس، أو حين وجد نفسه يقول في تعليقه على برودة البوصيرى: «إن البوصيرى في قوله (والحب يعترض اللذات بالألم) سبق علماء النفس بما تزيد على سبعمائة عام، حين قرر هذه الظاهرة النفسية (اجتماع اللذة والألم) معاً وفي وقت واحد، ولقد فأضت كتب علم النفس بتقرير هذه الظاهرة، وامتلات نفوس الذين زعموا أنهم ابتدعوها فخراً وغروراً، ولم يعرفوا أن البوصيرى في قصيدته هذه، قد قرر هذه الوقعة قبل مئات السنين، لكن علماء المسلمين لم يحاولوا أن يخرجوا بها من عالم القصيدة إلى القضاء الرحيب في أجواء العالم، ليظهروا إبداعات المسلمين من السلف العظيم في المجال النفسى والتحليل الذاتى»<sup>(٨٤)</sup>.